مجلة جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية –قسنطينة الجزائر–
ر ت م د: 1112–4040، ر ت م د إ: 2588–X204
المجلد:33 العدد:03 السنة:2019 الصفحة: 43–74 تاريخ النشر:17–12–2019

نظام الفطرة وعلاقته بفقه الموازنات

The system of Instinct and its relation with the jurisprudence of the balances

د. بوبكر بعداش
badache.boubaker2019@gmail.com
جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية- قسنطينة

تاريخ الأرسال: 14-07-2019 تاريخ القبول: 26-11-2019

الملخص:

ارتباط الفطرة بفقه الموازنات هو ارتباط القانون الضابط للعلوم الضرورية للإنسان التي تضمن له توازنه واستقامته في معرفة الأشياء عن طريق التلقين والتجربة والاستنباط، فنظام الفطرة مرتبط ارتباطا وثيقا بوضع الشريعة للتكليف بمقتضاها، فلم يقصد إلى التكليف بالشاق والخارج عن طاقة البشر والقصد إلى الإعنات به.

فإن ما في الفطرة من الأوصاف الجبلية يتبعها –ولابد– أفعال اكتسابية، فكيف تضبط الأوصاف الفطرية في الإنسان فقه الموازنات؟ وهذا ما ذكره الإمام القرافي في الفروق على مستوى السلوك الفطري ومتى يكون الفعل الفطري محل الثواب ومتى يكون محل العقاب، ومنه ينضبط فقه الموازنات؟؟

الكلمات المفتاحية: الفطرة، النظام، الموازنات، فقه الاختيار

Abstract:

The correlation of instinct with the jurisprudence of the balances is the law's linkage of the sciences necessary for human, which insures his balance and his straightness in the knowledge of things through learning, experimentation and

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

مجلة جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية –قسنطينة الجزائر–
ر ت م د: 1112–4040، ر ت م د إ: 2588–X204
المجلد:33 العدد:03 السنة:2019 الصفحة: 43–74 تاريخ النشر: 17–12–2019

deduction, so the system of instinct is closely linked to the position of the Shariah for the mandating through it; and it do not intend the hard mandating and which is a burden out of mankind will and the intention is toward relaying on it.

What is in the attributes of the instinct of the innate followed -surely- by deeds of acquisition, then how the attributes of the instinct are determined in human jurisprudence of the balances? And this is what Imam al-Qaraffi mentioned in the differences on the level of instinct behaviour and when the instinct deed is in case of reward and when is the case of punishment, and from which the jurisprudence of the balances be determined ??

KeyWords: The Instinct, The System, The Balances, Jurisprudence of Choice

المقدمـــة:

لبيان العلاقة بين نظام الفطرة وفقه الموازنات، ينبغي أن نعرض مفهوم نظام الفطرة أولاً ثم مفهوم فقه الموازنات ثانيا وبعدها أصل ارتباط الفطرة بفقه الموازنات، وذلك على النحو التالي:

1– مفهوم نظام الفطرة

أ– تعريف النظام

– النظام في اللغة: من النّظم هو التأليفُ، وضمُّ شيء إلى شيء آخر ونظم اللؤلؤ ينظِمُه نَظما ونِظاما ونظَّمَهَ ألفه وجمعه في سلك والنِظام كل خيط يُنْظَمُ به لؤلؤٌ ونحوه، وجمعه نُظمٌ وأنظمة وأناظيم.[1]

[1]– الفيروز آبادي: **القاموس المحيط**، دار الكتب العلمية، بيروت، ط 1، 1415هـ/1995م، ج 155/4.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

مجلة جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية –قسنطينة الجزائر–
ر ت م د: 1112–4040، ر ت م د إ: 2588–X204
المجلد:33 العدد:03 السنة:2019 الصفحة: 43–74 تاريخ النشر: 17–12–2019

وفي المعجم العربي الأساسي: نظَمَ ينْظِمُ نَظْماً فهو ناظم، الأشياء: أَلفَها وضَمَّ بعضها إلى بعض، ومنه نظم جواهر القلادة، ضم بعضها إلى بعض وفق ترتيب معين، ونظم شعراً ألف كلاماً حسب قواعد الشَّعر، ونظم أمرَهُ أقامَهُ ورتَّبَهُ، ونظَّم الأشياء رتَّبها، وتنظَّم الشيء تألَّف واتَّسق واستقام، والنظام: وضع الأشياء أو الأفكار على صورة مرتبة، جمع أنظمةٌ ونُظُمٌ، مبادئٌ مرتبطةٌ بطريقةٍ من الحُكم أو الاقتصاد أو غيرهما، ومجموعةُ ترتيبات تسير بمقتضاها مؤسَّسة أو نحوها.[1]

فالنظام هو القوام والعماد؛ فنظام الأمر قوامه وعماده ويعني الترتيب والاتساق بين مجموعة من القواعد والأحكام المتناسقة والمتكاملة المتفاعلة فيما بينها.

– النظام في الاصطلاح: هو مجموعة الأحكام والقواعد المتناسقة والمتكاملة المتفاعلة فيما بينها أو ضابط لأعمال الأفراد في أي مجال.

– أما تعريف النظام في الإسلام: فهو مجموعة القواعد الأساسية المستمدة من الأصول التشريعية المعتبرة، من حيث علاقة الإنسان بربه، وعلاقة الإنسان بالإنسان وعلاقة الدولة بالدول الأخرى ويشمل الإجراءات الجزائية التي تدخل ضمن تلك الأنظمة.[2]

وبناء عليه يكون النظام هو أحد مفاهيم العقل الأساسية، ويشمل الترتيب الزماني والمكاني والعددي والعلل والقوانين والغايات والأجناس والأنواع والأحوال الاجتماعية والقيم الأخلاقية والجمالية.

[1]– جماعة من كبار اللغويين: **المعجم العربي الأساسي**، مؤسسة لاروس، المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم، 1989م، ص/1207.

[2]– سعدون محمود الساموك: **الوجيز في النظم الإسلامية**، ط1، 1422هـ/2002م، ص/13.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

مجلة جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية –قسنطينة الجزائر–
ر ت م د: 1112–4040، ر ت م د إ: 2588–X204
المجلد:33 العدد:03 السنة:2019 الصفحة: 43–74 تاريخ النشر: 17–12–2019

ب– تعريف الفطرة:

– الفطرة في اللغة: الفَطْرُ الشَّقُّ والجمع فُطُورٌ، ضرب من الكَمأةِ قَتَّالٌ (نوع من الفطر يسمى ترفاس)، وفطرَهُ يفْطِرُهُ ويَفطُرُهُ: شقَّهُ فانفطر وتفطَّرَ...والفِطْرَةُ الخِلقَةُ التي خُلق عليها المولودُ في رحم أمه، والدين.[1] والفطور في قوله تعالى: ﴿**فارجع البصر هل ترى من فطور**﴾ [الملك:3] هي الشقوق، وأصله من التّفطُّر والانفطار وهو الانشقاق.[2] وقيل الفطرة: هي الطَّبع السوِّي والجِبلَّة المستقيمة التي خُلق الناس عليها، وهي عند أبي البقاء: الصفة التي يتصف بها كل موجود في أول زمان خِلقتِه.[3]

والفاطر في القرآن بمعنى الخالق[4] وقال الأصفهاني في المعجم: فطَرَ أصلُ الفَطْرِ الشقُ طُولاً، وفطرَ الله الخَلقَ هو إيجادُهُ الشيءَ وإبدَاعُهُ على هَيئَةٍ مُترشّحَةٍ لفعلٍ من الأفعال، فقوله تعالى: ﴿**فِطرتَ الله التي فطَرَ الناس عليها**﴾ [الروم:30] فإشارةٌ منه سبحانه وتعالى إلى ما فطر أي أبدع وركز في الناس من معرفته تعالى، وفطرةُ الله هي ما ركز فيه من قوتهِ على معرفة الإيمان وهو المشارُ إليه بقوله تعالى: ﴿**ولئن سألتهم من خلقهم ليقولُن الله**﴾ [الزخرف: 87] وقال تعالى: ﴿**الحمد لله فاطر السماوات والأرض**﴾ [فاطر:1] وقال الله تعالى: ﴿**الذي فطَرهن**﴾ [الأنبياء:56] وقال الله تعالى: ﴿**الذي فطرنا**﴾ [طه: 72] أي أبدعنا وأوجدنا، ومن هنا قيل للكَمْأَةِ فُطُرٌ من حيث إنها

---

[1]– الفيروز آبادي: **القاموس المحيط**، دار الكتب العلمية، بيروت، ط 1، 1415هـ/1995م، ج 193/2.

[2]– القرطبي: **الجامع لأحكام القرآن**، دار الحديث، القاهرة، ط2، 1416هـ/1996م، 200/18.

[3]– الكفوي: **الكليات، معجم في المصطلحات والفروق اللغوية**، مؤسسة الرسالة ناشرون، دمشق، ط 2، 1432هـ/2011م، ص/587.

[4]– الكفوي: **الكليات، معجم في المصطلحات والفروق اللغوية**، المرجع نفسه، ص/569.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

مجلة جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية –قسنطينة الجزائر–
ر ت م د: 1112–4040، ر ت م د إ: 2588–X204
المجلد:33 العدد:03 السنة:2019 الصفحة: 43–74 تاريخ النشر: 17–12–2019

تفطِرُ الأرض فتَخرُجُ منها.[1] وفي أساس البلاغة: فطر الله الخلق، وهو فاطر السماوات: مبتدعها، وافتطر الأمرَ ابتدعه، « وكل مولود يولد على الفطرة»[2] أي الجبلة القابلة لدين الحق، وقد فطر هذه البئر أي شقها وأخرج ماءها[3]

قال ابن العربي الفطرة تأتي على وجهين: أحدهما: الانشقاق والتقطع، والثاني: الابتداء، وعليه جاء الحديث السابق[4]

– الفطرة في الاصطلاح: النظام الذي أوجده الله في كل مخلوق، ففطرة الإنسان هي الخِلقة والجبلة والطبيعة التي أودعها الله فيه، مهيأ بها لجلب المصالح لنفسه، ودرء المفاسد عنها، باعتباره اجتماعيا بفطرة سالمة من العيوب، والشوائب، والرعانات

[1] – الأصفهاني: **معجم مفردات ألفاظ القرآن**، ت، يوسف الشيخ محمد البقاعي، دار الفكر، بيروت، ط1، 1426هـ/ 2009م، ص/288–289.

[2] – الحديث أخرجه البخاري، في كتاب الجنائز، باب: ما قيل في أولاد المشركين، ينظر: ابن حجر العسقلاني: **فتح الباري بشرح صحيح البخاري**، دار الريان للتراث، القاهرة، ط1، 1407هـ/1986م، 290/3. ومسلم في كتاب القدر، باب: معنى كل مولود يولد على الفطرة، وحكم موتى أطفال الكفار وأطفال المسلمين، ينظر: النووي: صحيح مسلم بشرح النووي، دار الكتاب العربي، بيروت، 1407هـ/1987م، ج 207/9. ومالك في الموطأ كتاب الجنائز، باب: جامع الجنائز، ينظر الإمام مالك، **المُوطأ**، دار الكتاب المصري، القاهرة، دار الكتاب اللبناني، بيروت، ج1/ 241. والترمذي، في كتاب القدر، باب: ما جاء كل مولود يُولد على الفطرة، بلفظ –على الملة–وقال: حديث حسن صحيح، ينظر، ابن العربي: **عارضة الأحوذي بشرح صحيح الترمذي**، دار الكتب العلمية، بيروت، ط 1، 1418هـ/1997م،ج 7/ 230–231.

[3] – الزمخشري: **أساس البلاغة**، دار صادر، بيروت، ط1، 1412هـ/ 1992م، ص/176.

[4] – ابن العربي: **عارضة الأحوذي**، المرجع السابق، ج230/9.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

مجلة جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية –قسنطينة الجزائر–
ر ت م د: 1112–4040، ر ت م د إ: 2588–X204
المجلد:33 العدد:03 السنة:2019 الصفحة: 43–74 تاريخ النشر: 17–12–2019

والعادات الفاسدة.[1] ولذلك وصف العقل بها فقال الله تعالى: ﴿**لقد خلقنا الإنسان في أحسن تقويم**﴾ [التين: 4] والمراد بالتقويم تقويم العقل الذي هو مصدر العقائد الحقة والأعمال الصالحة، وأن المراد برده أسفل سافلين انتقالُ الناس إلى اكتساب الرذائل بالعقائد الباطلة والأعمال الذميمة.[2]

﴿**ثم رددناه أسفل السافلين**﴾ [التين: 4] أي نتيجة لخطئه وزلله وسوء أفعاله رددناه أسفل سافلين، بعد أن كنا خلقناه في أحسن تقويم، وهذا تأكيد من القرآن الكريم أن الإنسان خلق في أول أمره صالحا قابلا للخير قادرا على إتيانه والسير في طريقه، فالخير في نظر الإسلام هو أصل الإنسان وفطرته التي فطر عليها إلا أنه ضعيف حينا متردد حينا آخر، يدور حوله الشيطان ... فإن تبعه تردى إلى أسفل سافلين.[3]

وعند ابن القيم الفطرة هي: الأشياء التي يفعلها الإنسان من غير تدريب ولا تعلم وثبتت في الفطرة، كستر العورة، وإقالة العثرات، ورحمة المسكين، ونصر المظلوم، ومواساة أهل الحاجة والفاقة، وحُسن العدل والإنصاف، ومقابلة الإحسان بالإحسان، وجميل المعاشرة مع الأقارب والأباعد، إلى غير ذلك من معرفة العقل الذي وضعه بينهم

[1]– ابن عاشور: **مقاصد الشريعة الإسلامية**، تحقيق: محمد الطاهر الميساوي، دار النفائس، الأردن، ط 2، 1421هـ/2001م، ص/262–263. عبد السلام الرفعي: **فقه المقاصد وأثره في الفكر النوازلي**، أفريقيا الشرق، المغرب، ط1، 2010م، ص/118.

[2]– ابن عاشور: المرجع السابق، ص/ 264،

[3]– صابر طعيمة: **العقيدة والفطرة في الإسلام**، دار الجيل، بيروت، ط1، 1398هـ/1978م، ص/237.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

مجلة جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية –قسنطينة الجزائر–
ر ت م د: 1112–4040، ر ت م د إ: 2588–X204
المجلد:33 العدد:03 السنة:2019 الصفحة: 43–74 تاريخ النشر: 17–12–2019

في المعاملات، وما أودع في فِطرهم من حُسنِ شكره وعبادته وحده لا شريك له، فطابقت الشريعة المترلة للفطرة المكملة مطابقة التفصيل بجملته.[1]

ومن هنا بنى علال الفاسي مراده من الفطرة، على كونها الأوصاف التي تعطي قيمة للعقل الإنساني فهي: «وإن كانت في اللغة مشتقة من فطر البعير عن نابه إذا انشق، فإن استعمالها الإسلامي في معنى المروءة التي وضعها الله صفة للإنسان منذ أصبح إنسانا؛ أي منذ تحمل المسؤولية؛ وإدراك الحرية».[2]

وتتمثل تلك الصفة في خصائص الأفعال الإنسانية المقصودة من الإنسان بصفته إنسانا من النظر العقلي والتدبر الفكري الذي هو مصدر العقائد الحقة والأعمال الصالحة، والقابلية لاكتساب المعارف النافعة، والسلامة من الانحرافات الفاسدة والأعمال الباطلة، والقدرة على الإنجاز الحضاري الأقوم.[3]

كما جاء الدين فطريا على وفقها فقال الله تعالى: ﴿**فأقم وجهك للدين حنيفا فطرة الله التي فطر الناس عليها لا تبديل لخلق الله ذلك الدين القيم**﴾ [الروم: 30] فالدين على فطرة الإنسان، ليكون مكلفا حسب طاقته المودعة فيه بالفطرة.[4] ومن هنا قال علماء الشريعة: الفطرة التي فطر الله الناس عليها هي فطرة الإنسان بصفته إنسانا،

---

[1]– ابن القيم:**مفتاح دار السعادة، ومنشور ولاية العلم والإرادة**، دار الجيل، بيروت، ط1، 1414هـ/1994م، 1/488–489.

[2]– علال الفاسي : **مقاصد الشريعة ومكارمها**، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط5، 1993م، ص/9.

[3]–عبد الرحمن العضراوي:**مدخل تأسيسي في الفكر المقاصدي**، مركز نماء للبحوث والدراسات، بيروت، ط1، 2015م، ص/79.

[4]– الرفعي: المرجع السابق، 118.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

مجلة جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية –قسنطينة الجزائر–
ر ت م د: 1112–4040، ر ت م د إ: 2588–X204
المجلد:33 العدد:03 السنة:2019 الصفحة: 43–74 تاريخ النشر: 17–12–2019

أي مطلق الإنسان الذي يملك جملة من العقل، وقدرة على اكتساب المعرفة، واستعدادا للمدنية والحضارة، والمرونة على الطاعة».[1] فالفطرة هي الصفة الإنسانية، بل هي قوام الإنسانية نفسها، بل الفطرة عليها تقوم الإنسانية، وليست صفة لها.[2]

ج– مصطلحات لها علاقة بالفطرة:

– **الطبيعة:** من الطَّبع أن تصوِّر الشيء بصورةٍ ما كطبع السِّكَّة وطبع الدراهم وهو أعم من الختم وأخص من النقش، والطَّابع والخاتم مايُطْبَعُ به ويُخْتَمُ، منه قوله عز وجل: ﴿**فطُبِعَ على قلوبهم**﴾ [المنافقون:3] وقول الله تعالى: ﴿**كذلك نطبع على قلوب الـــمُعتدين**﴾ [يونس:7]وبه اعتبر الطبعُ والطبيعةُ التي هي السَّجيَّة فإن ذلك هو نقشُ النفس بصورة ما، إما من حيث الخِلقة وإما من حيث العادة، وهو فيما يُنقشُ به من حيث الخِلقةُ أغلب، ولهذا قيل:وتأبى الطِّباع على الناقل.[3]

والفطرة غير الطبيعة: على خلاف ما يظنه الناس؛ فالطبيعة لغة الجِبلة؛ وهي من ذاتية الأشياء لا تنفك عنها طبقا لنواميس معينة.[4] فالطبيعة اتخاذ الصورة المخصوصة للشيء كطبع السيف وطبع الدراهم.

– **الصبغة:** الصَّبغُ مصدر صَبَغْتُ والصَّبغ الصَّبُوغُ ومنه قوله تعالى: ﴿**صبغةَ الله**﴾[البقرة:138]إشارة إلى ما أوجدَهُ الله تعالى في الناس من العقل الـــمُتميِّز به عن البهائم كالفِطرَة، وكانت النصارى إذا وُلد لهم ولدٌ غمسُوهُ بعد السابع في ماءٍ عمُوديَّةٍ

[1]– علال الفاسي: **مقاصد الشريعة ومكارمها**، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط5، 1993م، ص/70–71.

[2]– علال الفاسي: **مقاصد الشريعة ومكارمها**، المرجع نفسه، ص/70–71–72.

[3]– الأصفهاني: **معجم مفردات ألفاظ القرآن**، المرجع السابق، 226.

[4]– علال الفاسي: **مقاصد الشريعة ومكارمها، المرجع السابق**، ص/9

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

مجلة جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية –قسنطينة الجزائر–
ر ت م د: 1112–4040، ر ت م د إ: 2588–X204
المجلد:33 العدد:03 السنة:2019 الصفحة: 43–74 تاريخ النشر: 17–12–2019

يزعَمُون أن ذلك، صِبغَةٌ فقال سبحانه وتعالى: ﴿**ومن أحسنُ من الله صبغةً**﴾ [البقرة:138][1]

– **السجية**: من سجا سُجُواً سكن ودامَ، ومنه البحرُ والطَّرف الساجي، وتسجِيَةُ الميت، تغطِيتُه وناقةٌ سَجْواءُ: إذا حُلِبت سكنت،[2] وهو اسم لما يُسجى عليه الإنسان من قولهم: عين ساجية أي فاترة خِلقة، وأكثر ما يُستعمل ذلك كله فيما لا يمكن تغييره.[3]

وقال الجوهري: سجا السَجِيَّة الخُلُق والطبيعة وقد سجا الشيء سكن ودام، وقوله تعالى: ﴿**والليل إذا سجى**﴾ [الضحى:2] أي دام وسكن.[4]

– **الجِبلَةُ**: بالكسر الخِلقَةُ، والطبيعةُ.[5]

وذكر الأصفهاني فقال: وجُبُلاً جمع جِبلَّةٍ ومنه قوله عز وجل: ﴿**واتقوا الذي خلقكُم والجِبلةَ الأولين**﴾ [الشعراء:184] أي المجبُولين على أحوالهم التي بُنُوا عليها وسُبُلهِم التي قُيِّضُوا لسُلُوكها المشار إليها بقوله تعالى: ﴿**قل كلٌ يعمل على شاكلته**﴾ [الإسراء:84].[6] وشاكلته طبيعته، وطريقته ومذهبه الذي جُبل عليه، وقيل: قل كلٌّ يعمل

[1]– الأصفهاني: **معجم مفردات ألفاظ القرآن**، المرجع السابق، 206.

[2]– الفيروزآبادي: **القاموس المحيط**، المرجع السابق، 377/4.

[3]– الأصفهاني: **كتاب الذريعة إلى مكارم الشريعة**، تحقيق: أبو اليزيد العجمي، دار السلام، القاهرة، ط1، 1428هـ/2007م، 96.

[4]– الجوهري: **الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية** مرتبا ترتيبا ألفبائيا وفق أوائل الحروف، دار الحديث، القاهرة، سنة الطبع، 1430هـ/2009م، ص/517–518.

[5]– الفيروزآبادي: **القاموس المحيط**، 471/3. والجوهري: **الصحاح**، ص/161.

[6]– الأصفهاني: **معجم مفردات ألفاظ القرآن**، المرجع السابق، 68.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

مجلة جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية –قسنطينة الجزائر–
ر ت م د: 1112–4040، ر ت م د إ: 2588–X204
المجلد:33 العدد:03 السنة:2019 الصفحة: 43–74 تاريخ النشر: 17–12–2019

يعمل على ما هو أُشكل عنده وأولى بالصواب في اعتقاده... وهذه الأقوال كلّها متقاربة والمعنى: أن كل أحد يعمل على ما يشاكل أصله وأخلاقه التي ألفها.[1]

– **الغريزة**: الطَّبيعةُ والقريحة،[2] وفي اللسان:"الغريزة: الطَّبيعةُ والقريحة والسجية من خير أو شر، قال اللحياني: هي الأصل والطبيعة، قال الشاعر:

إن الشجاعةَ في الفَتى والجودَ من كرمِ الغرائز

وفي قول عمر رضي الله عنه: الجُبنُ والجُرأة غرائز؛ أي أخلاق وطبائع صالحة، أو رديئة واحدها غريزة"[3] وهي مَلَكةٌ تصدر عنها صفات ذاتية، ويقرب منها الخُلق، إلا أن للاعتياد مدخلاً في الخُلق دونها.[4] والغريزة اعتبارا بما غرز عليه الإنسان، وكل ذلك اسم للقوة التي لا سبيل إلى تغييرها والشيمة اسم للحالة التي عليها الغريزة، اعتبارا بالشامة في أصل الخِلقة.[5]

وفرق الأصفهاني بين العادة والخُلق فقال: أما العادة فاسم لتكرير الفعل أو الانفعال، من عاد يعود، وبها يكمل الخلق، وليس للعادة فعل إلا تسهيل خروج ما هو بالقوة في الإنسان إلى الفعل...فالسجية والطبيعة فعل الخالق، والعادة فعل المخلوق، ولكن ربما يقوي العادة قوة محكمة حتى تعد سجية وطبيعة، وبهذا النظر قيل: العادة طبيعة ثانية[6]

---

[1]– القرطبي: **الجامع لأحكام القرآن**، المرجع السابق 328/9.

[2]– الفيروزآبادي: **القاموس المحيط**، 295/2. والجوهري: **الصحاح**، ص/844.

[3]– ابن منظور: **لسان العرب**، دار لبنان العرب، بيروت، 976/2 .

[4]– الكفوي: **الكليات**، المرجع السابق، ص/566.

[5]– الأصفهاني: **كتاب الذريعة إلى مكارم الشريعة**، 96.

[6]– الأصفهاني: **كتاب الذريعة إلى مكارم الشريعة**، 97.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

مجلة جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية –قسنطينة الجزائر–
ر ت م د: 1112–4040، ر ت م د إ: 2588–X204
المجلد:33 العدد:03 السنة:2019 الصفحة: 43–74 تاريخ النشر: 17–12–2019

– **الضمير**: لغة: لا نكاد نجد معنى الضمير في المعاجم المتقدمة وإنما ذكرت ما يمكن أن يكون أقرب المعاني اللغوية إليه وهو السر وداخل الخاطر؛ وهو ما يضمره الإنسان في قلبه.[1]

أما المعاجم الحديثة فقد ذكرت معاني الضمير في اللغة ففي المعجم الوسيط: ورد أضمر في نفسه أمرا عزم عليه بقلبه، والضمير المضمر وما تضمره في نفسك ويصعب الوقوف عليه، استعداد نفسي لإدراك الخبيث والطيب من الأعمال والأقوال والأفكار، والتفرقة بينهما، واستحسان الحسن، واستقباح القبيح منها[2].

الضمير اصطلاحا: «قوة فطرية زود الله بها الإنسان يميز بها الخير من الشر، فترشده إلى الأول وتثيبه عليه بالغبطة، وتحذره من الثاني، وتعاقبه على فعله بالتأنيب والندم»[3]

2– تعريف فقه الموازنات

أ– تعريف الفقه لغة: هو العلم بالشيء والفهم له والفطنة، وفقه كعلم: فهم.[4]

– **وأما اصطلاحا فالفقه**: العلم بالأحكام الشرعية العملية، المكتسب من الأدلة التفصيلية لتلك الأحكام.[5]

[1]– ابن منظور:**لسان العرب**، 492/4

[2]– أنيس إبراهيم وآخرون: **المعجم الوسيط**، مطابع المعارف، مصر، 1393هـ، 544/1.ينظر أيضا: **المعجم العربي الأساسي**، ص/776

[3]– خضير طه عبد السلام: **دراسات في الأخلاق**، دار النهضة العربية، 1405هـ، ص/77.

[4]– الكفوي: **الكليات**، ص/572.

[5]– الكفوي: **الكليات**، ص/572.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

مجلة جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية –قسنطينة الجزائر–
ر ت م د: 1112–4040، ر ت م د إ: 2588–X204
المجلد:33 العدد:03 السنة:2019 الصفحة: 43–74 تاريخ النشر: 17–12–2019

ب- تعريف الموازنات لغة: الوزن كالوعد: رَوْزُ الثّقل والخِفَّة، وكالزنة، وزَنَه يزِنُه وزنا وزِنةً، ج أوزان، والميزان والعدل والمقدار ووازنه عادله، وقابله.[1]

فهي المعادلة والمقابلة بين المصالح والمفاسد للترجيح بينها.

- وأما اصطلاحا: فالموازنات: هي التفاوت بين الأشياء والأحكام، وتقديم الأهم على المهم، والمهم
على غيره.[2]

أما **فقه الموازنات باعتباره لقبا** على هذا العلم فهو: مجموعة الأسس والمعايير التي تضبط عملية الموازنة بين المصالح المتعارضة، أو المفاسد المتعارضة، أو المفاسد المتعارضة مع المصالح، ليتبين بذلك أيُّ المصلحتين أرجح فتقدم على غيرها، وأيُّ المفسدتين أعظم خطرا فيقدم درءُها، كما يعرف به الغلبة لأي من المصلحة أو المفسدة–عند تعارضهما– ليحكم بناء على تلك الغلبة بصلاح ذلك الأمر أو فساده.[3]

3–أصل ارتباط الفطرة بفقه الموازنات

ترتبط الفطرة بفقه الموازنات من عدة نواح من حيث وصف الدين بها، ومن حيث هداية القرآن إليها، ومن خلال فقه الاختيار الذي أرشد إليه ﷺ وقرره سبحانه وتعالى في قوله: ﴿**وربك يخلق ما يشاء ويختار**﴾ [القصص: 68]، ومن خلال تحليل الطيبات وتحريم الخبائث الذي دل عليه الوحي الكريم، وكما ترتبط الفطرة بالموازنات من خلال داعي الفطرة.

---

[1]– الفيروزابادي: **القاموس المحيط**، 283/4.

[2]– محمد مصطفى الزحيلي: تقديم لكتاب، **فقه الموازنات في الشريعة الإسلامية**، لعبد المجيد محمد السوسوة، دار القلم، الإمارات العربية المتحدة، دبي، ط1، 1425هـ/2004م،ص/5.

[3]– عبد المجيد محمد السوسوة: **فقه الموازنات في الشريعة الإسلامية**، ص/13.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

مجلة جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية –قسنطينة الجزائر–
ر ت م د: 1112–4040، ر ت م د إ: 2588–X204
المجلد:33 العدد:03 السنة:2019 الصفحة: 43–74 تاريخ النشر: 17–12–2019

أ– وصف الدين بالفطرة: ارتباط الفطرة بفقه الموازنات يتحدد أساسا في وصف الدين الحنيف بالفطرة، قال الله تعالى: ﴿**فأقم وجهك للدين حنيفا فطرة الله التي فطر الناس عليها لا تبديل لخلق الله ذلك الدين القيم ولكن أكثر الناس لا يعلمون**﴾ [الروم: 30]قال الزمخشري في تفسير كلمة الفطرة في الآية : «إنها الخلقة، ألا ترى إلى قوله– لا تبديل لخلق الله– والمعنى: أنه خلقهم قابلين للتوحيد ودين الإسلام غير نائين عنه ولا منكرين له لكونه مجاوبا للعقل مساوقا للنظر الصحيح، حتى لو تُركوا لما اختاروا عليه دينا آخر ومن غوى منهم فبإغواء شياطين الإنس والجن».[1] فمعنى كون الإسلام دين الفطرة أنه الدين الذي يجعل أفعال الإنسان فطرية يستحق أن يعتبر بها إنسانا لا حيوانا. ويترتب على كون الإسلام دين الفطرة، أن تكون التكاليف الاعتقادية والعملية مما يسع الأميّ–مما يتاح للإنسان– تعقّلُها، ليسعه الدخول تحت حكمها، أما الاعتقادية بأن تكون من القرب للفهم، والسهولة على العقل، بحيث يشترك فيها الجمهور، من كان منهم ثاقب الفهم أو بليدا. وأما العمليات فمن مراعاة الأمية — أو الفطرة الأولى– فيها أن وقع تكليفهم بالجلائل في الأعمال والتقريبات– أمور وعلامات تقريبية لضبط العبادات الظاهرة– في الأمور، بحيث يدركها الجمهور.[2]

فالله أراد بحكمته أن يكون الإسلامُ آخرَ الأديان التي خاطب بها عباده، فتعيَّن أن يكون أصلُه الذي ينبني عليه وصفا مشتركا بين سائر البشر ومستقرًّا في نفوسهم ومرتاضةً عليه العقولُ السليمة منهم، ألا وهو وصف الفطرة، حتى تكون أحكامُ الشريعة مقبولةً عند أهل الآراء الراجحة من الناس الذين يستطيعون فهمَ مغزاها، فيتقبلوا ما يأتيهم منها بنفوس مطمئنة وصدور منثلجة، فيتبعوها دون تردد ولا انقطاع، ومن ثمة

[1]– الزمخشري: **الكشاف**، 222/3.

[2]– الشاطبي: **الموافقات**، 88/2–89–90.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

مجلة جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية –قسنطينة الجزائر–
ر ت م د: 1112–4040، ر ت م د إ: 2588–X204
المجلد:33 العدد:03 السنة:2019 الصفحة: 43–74 تاريخ النشر: 17–12–2019

يتسنَّى لأرفعهم قدراً في الفهم محاذاةُ نظائرها وتفريعُ فروعها، وحتى يكون تلقي بقية طبقات الأمة–الذين لم يبلغوا مستوى أهل الآراء الراجحة– إياها تلقِّياً عن طيب نفس، ويسهل امتثالُهم لِما يؤمروا به منها.[1] فإن الأمر إذا اشتهر بين جميع الأمم كان دليلا على أنه من الفطرة الأولى، وأنه مما جبلت عليه النفوس، وهذا كحب العدل والصدق والإحسان، وبغض الجور والكذب والإساءة، ونحو ذلك، فإنك لا تجد الناس إلا على هذا المهيع.[2]

فالأصول الفطرية هي التي خلق الله عليها الإنسان المخلوق لعمران العالم، وهي إذن الصالحة لانتظام هذا العالم على أكمل وجه، وهي إذن ما يحتوي عليه الإسلام الذي أراده الله لإصلاح العالم بعد اختلاله.[3]

فأثبت في الفطر حُسنَ العدل والإنصاف، والصدق، والبر، والإحسان، وأثبت في الفِطرِ عِلمَها بقبيح أضدادها، ثم بعث رسله في الأمر بما أثبت في الفطر حسنه وكماله، والنهي عما أثبت فيها قبحه وعيبه وذمه.[4]

وضابط هذا كلِّه العدل، وهو الأخذ بالوسط الموضوع بين طرَفي الإفراط والتفريط، وعليه بناء مصالح الدنيا والآخرة، بل لا تقوم مصلحة البدن إلا به. فإنه متى خرج بعض أخلاطه عن العدل وجاوزه أو أنقص عنه ذهب من صحته وقوَّتِه بحسب ذلك. وكذلك الأفعال الطبيعية كالنوم والسهر والأكل والشرب والجماع والحركة

[1]– ابن عاشور: **مقاصد الشريعة الإسلامية**، ص/317–318.

[2]– بلقاسم حديد: **موارد التكليف ومصادره فيما يقتضيه الشرع وما لا يقتضيه**، دار الكلم الطيب، دمشق، ط1، 1430هـ/2009م، ص.133.

[3]– ابن عاشور: **مقاصد الشريعة الإسلامية**، ص/264.

[4]– ابن القيم: **مفتاح دار السعادة، ومنشور ولاية العلم والإرادة**، المرجع السابق، 1/488–489.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

مجلة جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية –قسنطينة الجزائر–
ر ت م د: 1112–4040، ر ت م د إ: 2588–X204
المجلد:33 العدد:03 السنة:2019 الصفحة: 43–74 تاريخ النشر: 17–12–2019

والرياضة والخلوة والمخالطة وغير ذلك، إذا كانت وسطاً بين الطرفين المذمومين كانت عدلاً وإن انحرفت إلى أحدهما كانت نقصا وأثمرت نقصا، فأعدل الناس من قام بحدود الأخلاق والأعمال والمشروعات –والتكاليف– معرفة وفعلاً، و لم يجاوز حدود الفطرة السوية.[1]

ومن هنا اتصفت الشريعة المحمدية بالتوسط: «فإذا نظرت في كلية شرعية فتأملها تجدها حاملة على التوسط، فإن رأيت ميلا إلى طرف من الأطراف، فذلك في مقابلة واقع أو متوقع في الطرف الآخر، فطرف التشديد–و عامة ما يكون في التخويف والترهيب والزجر– يؤتى به في مقابلة من غلب عليه الانحلال في الدين. وطرف التخفيف–عامة ما يكون في الترجية والترغيب والترخص– يؤتى به في مقابلة من غلب عليه الحرج في التشديد. فإذا لم يكن هذا ولا ذاك رأيت التوسط لا ئحا، ومسلك الاعتدال واضحا، وهو الأصل الذي يرجع إليه والمعقل الذي يلجأ إليه... والتوسط يعرف بالشرع، وقد يعرف بالعوائد وما شهد به معظم العقلاء، كما في الإسراف والإقتار في النفقات».[2]

فليس في الإسلام تكليف اعتقادي أو عملي يتنافى مع الفطرة، والتي هي بمثابة الجامعة العامة للبشر كافة مشتقة من الوصف العظيم المشترك بينهم وهو وصف الفطرة، لأن شعوب البشر، وهم مختلفون في الأخلاق والعوائد والمشارب والتعاليم، لا يمكن جمعهم جمعاً عمليا غير وهمي في جامعة واحدة ما لم يكن عمودها وقاعدتها شيئاً مرتكزاً

[1]– ابن القيم: **الفوائد**، فصل: حدود الأخلاق، مكتبة النهضة الجزائرية، الجزائر، دون ت الطبع، 185. وينظر في انحراف الفطرة، **تحديات من القرن الحادي والعشرين في ضوء فقه الفطرة**، فتحي يكن، مؤسسة الرسالة، بيروت، لبنان، ط1، 1418هـ/1998م.

[2]– الشاطبي: **الموافقات**، 2/167–168.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

مجلة جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية –قسنطينة الجزائر–
ر ت م د: 1112–4040، ر ت م د إ: 2588–X204
المجلد:33 العدد:03 السنة:2019 الصفحة: 43–74 تاريخ النشر: 17–12–2019

في سائر النفوس، وقدراً مشتركا بينهم لا يتخلف ولا يختلف، فذلك ضمان لانتفاء الغواية عن أتباعه–دين الإسلام– وأمته بحيث لو انحرفوا عنه انحرافاً لا يلبثون أن يراجعوه ويهتدوا إلى إقامته.[1]

فالله تعالى جعل دين الإسلام دين الفطرة لما أراد جعله دينا عاما لسائر البشر، دائما إلى انقضاء هذا العالم، ومهيمنا على جميع الكتب السماوية، وجعله مساوقا للفطرة المتقررة في نفوس البشر.[2]

الأمم والأزمان، ونظام للمجتمع العام، وما كان بهذه المثابة فلا بد أن يكون منطبقا على مصالح العباد، وراجعة إليهم وحدهم لا إليه تعالى لأنه غني عن العالمين».[3]

ولذلك كانت التكاليف الشرعية العملية والاعتقادية والسلوكية متوازنة مع فطرة المكلف فلا هي شاقة حتى لا يستطيعها، ولا هي غاية في التساهل والترخص حتى تصل إلى درجة الانحلال من التكليف، «فالشريعة جارية في التكليف بمقتضاها على الطريق الوسط الأعدل، الآخذ من الطرفين بقسط لا ميل فيه، الداخل تحت كسب العبد من غير مشقة عليه ولا انحلال، بل هو تكليف جار على موازنة تقتضي في جميع المكلفين غاية الاعتدال كتكاليف الصلاة، والصيام، والحج، والجهاد، والزكاة، وغير ذلك مما شرع ابتداء على غير سبب ظاهر اقتضى ذلك، أو لسبب يرجع إلى عدم العلم بطريق العمل. كما في قوله تعالى: ﴿**يسألونك ماذا ينفقون**﴾[البقرة:215] ثم فصل كيف يكون ذلك

---

[1]– ابن عاشور: **أصول النظام الاجتماعي في الإسلام**، الشركة التونسية للتوزيع، تونس، الشركة الوطنية للكتاب، الجزائر، ط2، 1985، ص/20.

[2]– ابن عاشور: **أصول النظام الاجتماعي في الإسلام**، المرجع السابق، ص/20.

[3]– الحجوي الثعالبي: **الفكر السامي في تاريخ الفقه الإسلامي**، دار الكنب العلمية، بيروت، ط1، 1416هـ/1995م،1/139.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

مجلة جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية –قسنطينة الجزائر–
ر ت م د: 1112–4040، ر ت م د إ: 2588–X204
المجلد:33 العدد:03 السنة:2019 الصفحة: 43–74 تاريخ النشر: 17–12–2019

فقال تعالى: ﴿**قل ما أنفقتم من خير فللوالدين والأقربين واليتامى والمساكين وابن السبيل وما تفعلوا من خير فإن الله به عليم**﴾[البقرة:215]وقول تعالى:﴿**يسألون عن الخمر والميسر**﴾[البقرة:219] –ثم بيّن ذلك– وأشباه ذلك».[1]

ب– هداية القرآن الكريم: كما ترتبط الفطرة بفقه الموازنات في وصف القرآن الكريم بأنه يهدي للتي هي أقوم في قوله تعالى: ﴿**إن هذا القرآن يهدي للتي هي أقوم** ﴾ [الإسراء:9] لأنه يساعد الإنسان على إدراك أقوم الطرق وأنجعها لتحقيق ما تتطلبه فطرته الإنسانية من سعادة روحية ومادية، وهو يهديه لذلك لأنه يضع بين يديه التعاليم التي يدركها كل إنسان بمقتضى فطرته كإنسان؛ ويجد فيها ما يحتاج إليه من دين وشريعة ومنهاج حياة،...فالقرآن الذي أنزله الله على رسوله ليعلِّمه للناس فيقوم لهم مقام المرشد لحقيقة الدين الذي هدتهم إليه فطرتهم حتى لا يضلوا السبيل.[2]

فالإسلام إذن بالنسبة للنوع الإنساني بمثابة العقل للأفراد، فكما أن العقل يهدي الفرد إلى معرفة الأشياء ويرشده لبعض المنافع؛ ويعقله لبعض الأضرار، كذلك الدين يهدي النوع البشري إلى أقوم الطرق وأوضحها للوصول لخير الدنيا والآخرة؛ فهو الذي يرشد الاستعداد الفطري في الإنسان إلى تحقيق الصعود في معارج الرقي والتقدم في المعرفة والحضارة والكمال الخلقي للفرد وللجماعة الإنسانية؛ وتوجيه الفعل الإنساني الوجهة الصحيحة نحو هذه المقاصد التي هي الفطرة الحقيقية.[3]

فالقرآن يهدي للتي هي أقوم في عالم الضمير والشعور، بالعقيدة الواضحة البسيطة التي لا تعقيد فيها ولا غموض، والتي تطلق الروح من أثقال الوهم والخرافة، وتطلق

[1]– الشاطبي: **الموافقات**، 163/2.

[2]– علال الفاسي: **مقاصد الشريعة ومكارمها**، ص/70–71.

[3]– علال الفاسي: **مقاصد الشريعة ومكارمها**، ص/72.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

مجلة جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية –قسنطينة الجزائر–
ر ت م د: 1112–4040، ر ت م د إ: 2588–X204
المجلد:33 العدد:03 السنة:2019 الصفحة: 43–74 تاريخ النشر: 17–12–2019

الطاقات البشرية الصالحة للعمل والبناء، وتربط بين نواميس الكون الطبيعية، ونواميس الفطرة البشرية في تناسق واتساق. ويهدي إلى التنسيق بين ظاهر الإنسان وباطنه، وبين مشاعره وسلوكه، وبين عقيدته وعمله... يهدي للتي هي أقوم في عالم العبادة بالموازنة بين التكاليف والطاقة، فلا تشق التكاليف على النفس حتى تمل وتيأس من الوفاء، ولا تسهل وتترخص حتى تشيع في النفس الرخاوة والاستهتار. ولا تتجاوز القصد والاعتدال وحدود الاحتمال.[1]

ومن هنا يأتي نظام الفطرة الذي يؤسس لفقه الموازنات؛ ذلك النظام المتوازن الذي ذكره الله بقوله: ﴿**ولمن انتصر من بعد ظلمه فأولئك ما عليهم من سبيل. إنما السبيل على الذين يظلمون الناس ويبغون في الأرض بغير حق أولئك لهم عذاب أليم**﴾ [الشورى:41–42] وفي قوله تعالى: ﴿**ولا تقتلوا النفس التي حرم الله إلا بالحق ومن قُتل مظلوما فقد جعلنا لوليه سلطانا فلا يسرف في القتل إنه كان منصورا**﴾ [الإسراء:33] وقوله جل شأنه: ﴿**ولا تجعل يدك مغلولةً إلى عُنقك ولا تبسطها كل بسط فتقعد ملوما محسورا**﴾[الإسراء:29] فالأخلاق مثلا لها في القرآن حد متى جاوزته صارت عدوانا وظلما، ومتى قصَّرت عنه كانت نقصا وعيبا ومهانة، وينبني عليه فقه الموازنات فللغضب حدٌّ وهو الشجاعة المحمودة في الحق، والأنفة من الرذائل والنقائص، وهذا كماله. فإذا جاوز حدَّه تعدّى صاحبُه وجار، ومن هنا وقع النهي عنه «لا تغضب»[2]، وكان الترغيب في كظم الغيظ «من كظم غيظا وهو يستطيعُ أن يُنفِّذَه»[1]،

[1]– سيد قطب: **في ظلال القرآن**، دار الشروق، القاهرة، ط 32، 1423هـ/2003م، 2215/4.

[2]– أخرجه الترمذي، في كتاب البر والصلة، باب: ما جاء في كثرة الغضب، وقال أبوعيسى: حديث حسن صحيح، ينظر: ابن العربي: **عارضة الأحوذي بشرح صحيح الترمذي**، المرجع السابق، 134/4.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

مجلة جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية –قسنطينة الجزائر–
ر ت م د: 1112–4040، ر ت م د إ: 2588–X204
المجلد:33 العدد:03 السنة:2019 الصفحة: 43–74 تاريخ النشر: 17–12–2019

وإن نقصَ الغضب عن حدّه جبن صاحبه و لم يأنف من الرذائل وكان صاحبه ساكتا عن الحق.[2]

وهكذا الجود له حدٌّ بين طرفين، فمتى جاوز حده صار إسرافا وتبذيرا وهو المنهي عنه في قوله تعالى: ﴿**ولا تجعل يدك مغلولةً إلى عُنقك ولا تبسطها كل بسط فتقعد ملوما محسورا**﴾[الإسراء:29]، وفي الحديث عن عامر بن سعيد عن أبيه قال: «عادني رسول الله ﷺ في حجة الوداع من وجع أشفيتُ منه على الموت فقلتُ: يا رسول الله بلغني ما ترى من الوجع وأنا ذُو مال ولا يرثُني إلا ابنةٌ لي واحدةٌ أفأتصدَّق بثُلُثَي مالي قال: لا قال قلتُ: أفأتصدَّق بشطره قال: لا الثُّلُثُ والثلث كثيرٌ إنك أن تذر ورثَتَكَ أغنياء خيرٌ من أن تذرهم عالةً يتكفَّفُون الناس».[3] ومتى نقصَ الجود عن حدِّه الفطري كان صاحبُه بخيلا ومقتِّرا.[4]

ج– فقه الاختيار: كما ترتبط الفطرة بفقه الموازنات في وصف هديه صلى الله عليه وسلم بأنه ما خير بين أمرين إلا أختار أيسرهما مالم يكن إثما، فقد جاء عن عائشة زوج النبي ﷺ أنها قالت: ماخُيِّرَ رسول الله ﷺ بين أمرين إلا أخذ أيسرهُما مالم يكن إثماً، فإن كان إثما كان أبعدَ الناس منه، وما انتقم رسولُ الله ﷺ لنفسه إلا أن تُنتَهكَ

[1]– أخرجه الترمذي، في كتاب البر والصلة، باب: ما جاء في كظم الغيظ، المرجع السابق،134/4.

[2]– ابن القيم: **الفوائد**، المرجع السابق.ص/183.

[3]– أخرجه مسلم في كتاب الوصية، ينظر: النووي: **صحيح مسلم بشرح النووي**، دار الكتاب العربي، بيروت، ط، 1407هـ/1987م، 76/6–77.

[4]– ابن القيم: **الفوائد**، فصل: حدود الأخلاق، المرجع السابق. ص/184.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

مجلة جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية –قسنطينة الجزائر–
ر ت م د: 1112–4040، ر ت م د إ: 2588–X204
المجلد:33 العدد:03 السنة:2019 الصفحة: 43–74 تاريخ النشر: 17–12–2019

حُرمةُ الله فينتقم لله بها».[1] وهذا هو صريح الفطرة، قال الإمام النووي:«فيه استحباب الأخذ بالأيسر والأرفق مالم يكن حراما أو مكروها،... ويحتمل أن يكون تخييره ﷺ هنا من الله تعالى فيخيره فيما فيه عقوبتان،... وكان يختار الأيسر في كل هذا».[2] وهذا مبني على الفطرة، فالله تعالى اختار من كل جنس من أجناس المخلوقات أطيبه، واختصه لنفسه وارتضاه دون غيره، فإنه تعالى طيبٌ لا يحب إلى الطيب، ولا يقبل من العمل والكلام والصدقة إلا الطيب، ﴿**وربُّك يخلُقُ ما يشاءُ ويختارُ**﴾[القصص:68] فالطيب من كل شيء هو مختارُه تعالى.[3] ولهذا كان الناس في حاجة إلى تعقل مقاصد الشريعة بحسب طاقتهم حتى يلمسوا عدالة هذه الشريعة ورحمتها ويسرها واختيارها الأصلح للإنسان[4].

ولقد حفلت سيرة الرسول ﷺ بكثير من الشواهد التي تدل على حسن الاختيار في أموره كلها، وما خُير بين أمرين إلا اختار أيسرهما ما لم يكن إثما، فلا يألف من الأعمال إلا أطيبها، وهي الأعمال التي اجتمعت على حسنها الفِطرُ السليمة، مع الشرائع النبوية، وزكتها العقولُ الصحيحة، فاتفق على حسنها الشرعُ والعقلُ والفِطرةُ، مثل أن

---

[1]– أخرجه البخاري في كتاب المناقب، باب: صفة النبي ﷺ، ينظر: ابن حجر العسقلاني: **فتح الباري بشرح صحيح البخاري**، دار الريان للتراث القاهرة، ط1، 1407هـ/1986م، 654/6، ومسلم في كتاب الفضائل، باب: مباعدته ﷺ للآثام واختياره من المباح أسهله وانتقامه لله تعالى عند انتهاك حرماته، ينظر: **النووي: صحيح مسلم بشرح النووي**، 83/8.

[2]– ينظر: النووي: **صحيح مسلم بشرح النووي**، المرجع السابق، 83/8.

[3]– ابن القيم:**زاد المعاد في هدي خير العباد**، ت:شعيب الأرنؤوط، وعبد القادر الأرنؤوط، مؤسسة الرسالة، بيروت، مكتبة المنارة الإسلامية، الكويت، ط، 14، 1407هـ/1986م، 65/1–66.

[4]– عبد الرحمن العضراوي، **مدخل تأسيسي في الفكر المقاصدي**، مركز نماء للبحوث والدراسات، بيروت، ط1، 2015م، ص/323.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

مجلة جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية –قسنطينة الجزائر–
ر ت م د: 1112–4040، ر ت م د إ: 2588–X204
المجلد:33 العدد:03 السنة:2019 الصفحة: 43–74 تاريخ النشر: 17–12–2019

يَعبُدَ الله وحده لا يشرك به شيئا، ويؤثر مرضاته على هواه، ويتحبب إليه جُهده وطاقته، ويُحسِنَ إلى خلقه ما استطاع.[1]

وله ﷺ من الأخلاق أطيبها كالحلم والوقار والرحمة والصبر والوفاء وسهولة الجانب والصدق، وسلامة الصدر، والتواضع لأهل الإيمان والعزة، والغلظة على أعداء الله.[2] وكذلك لا يختار من المطاعم إلا أطيبها وهو الحلال الهنيّ المريّ، وكذلك لا يختار من المناكح والرائحة إلا أطيبها، ومن الأصحاب والعشراء إلا الطيبين ويكون كل مثواه طيبا.[3]

وقد وقعت الإشارة إلى معنى الاختيار في حديث الإسراء كما جاء في الصحيحين، وهو قول النبي ﷺ «ثم أُتيتُ بإناء من خمر وإناءٍ من لبن، فأخذتُ اللبن، فقال لي جبريل: هي الفِطرةُ التي أنت عليها وأمَّتُك، أما أنك لو أخذتَ الخمرَ غَوَت أمَّتُك».[4] يعني أخذت ما فطر الله عليه الإنسان وهو اللبن، لأن حياة الإنسان به في بدء نشأته، فكان ذلك الاختيار رمزا إلى مبنى دينه، ولو أخذ الإناء الآخر لكان مؤذنا بعدم

---

[1]– ابن القيم: **زاد المعاد** المرجع السابق، 65/1–66.

[2]– محمد أبو زيد: **هدي الرسول ﷺ مختصر من زاد المعاد**، مطبعة الاستقامة، القاهرة، ط5، دون ت، ص18.

[3]– محمد أبو زيد: **هدي الرسول ﷺ** المرجع السابق، ص18.

[4]– الحديث أخرجه البخاري، في كتاب مناقب الأنصار، باب: المعراج، بزيادة: «وإناء من عسل» ينظر: ابن حجر العسقلاني: **فتح الباري بشرح صحيح البخاري**، 242/7. وأخرجه بهذه الزيادة: « أما أنك لو أخذتَ الخمرَ غَوَت أمَّتُك » في كتاب مناقب الأنبياء، باب: قول الله تعالى: وهل أتاك حديث موسى–وكلم الله موسى تكليما، ينظر: **ابن حجر: فتح الباري**، 493/6–494. وأخرجه مسلم في كتاب الإيمان، باب: الإسراء برسول الله ﷺ إلى السموات وفرض الصلوات، بزيادة: «فقيل: أصبتَ أصاب الله بك أُمَّتُك على الفطرة» ينظر: **صحيح مسلم بشرح النووي**، 225/1.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

مجلة جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية –قسنطينة الجزائر–
ر ت م د: 1112–4040، ر ت م د إ: 2588–X204
المجلد:33 العدد:03 السنة:2019 الصفحة: 43–74 تاريخ النشر: 17–12–2019

ملاءمة دينك للفطرة فتغوى الأمة؛ أي لم تدم على هدى الإسلام، لعدم ملاءمته لهم، فتضطرب فيه أحوالهم ولا تتفق فيه عقائدهم ولا أعمالهم.[1]

وقد وردت الزيادة في لفظ الحديث عند مسلم: «فقيل: أصبتَ أصاب الله بك أُمَّتُك على الفطرة» ومعنى أصاب الله بك أي أرادبك الفطرة والخير والفضل، وقد جاء أصاب بمعنى أراد كما في قوله تعالى: ﴿**فسخرنا له الريح تجري بأمره رخاء حيث أصاب**﴾ [ص:36] أي حيث أراد، وأما قوله: «أمتك على الفطرة» فمعناه أنهم أتباع لك وقد أصبت الفطرة فهم يكونون عليها.[2]

وفي هذا الصدد يؤكد ابن عاشور معنى الاختيار في الحديث فيقول: «وليس تناوله قدح اللبن أو قدح الخمر بأمر راجع إلى التكليف، لأنه لما عرض عليه القدحان بدون بيان كان ذلك العرض أمارة تخيير، والتخيير لا ينافي أن يكون المتخير يلهم إلى – حسن– اختيار ما له مزية لأن مقارنات أوائل الأعمال لها إيذان بخواتمها».[3]

د– تحليل الطيبات وتحريم الخبائث: كما ترتبط الفطرة بفقه الموازنات في قوله سبحانه وتعالى: ﴿ويحل لهم الطيبات ويحرم عليهم الخبائث ويضع عنهم إصرهم والأغلال التي كانت عليهم﴾ [الأعراف:158] والطيبات هي المحلَّلات، فكأنه وصفها بالطيب، إذ هي لفظة تتضمن مدحا وتشريفا، وبحسب هذا القول في الخبائث إنها

[1]– ابن عاشور: **أصول النظام الاجتماعي**، ص/20.
[2]– النووي: **صحيح مسلم بشرح النووي**، 225/1
[3]– ابن عاشور: **أصول النظام الاجتماعي**، ص/20.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

مجلة جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية –قسنطينة الجزائر–
ر ت م د: 1112–4040، ر ت م د إ: 2588–X204
المجلد:33 العدد:03 السنة:2019 الصفحة: 43–74 تاريخ النشر: 17–12–2019

المحرمات والمستقذرات التي تنفر منها النفوس بفطرتها.[1] فكل ما أحل الله تعالى من المآكل فهو طيب نافع في البدن والدين، وكل ما حرمه فهو خبيث ضار في البدن والدين.[2]

فالفطرة السليمة تنبئ صاحبها عن خطئه وعن صوابه، فكل شيء تطيب النفس به فهو الطيب، وكل شيء تخبث النفس به فهو خبيث، إذ النفوس البشرية تنساق نحو الطيب بفطرتها ورغبتها، وتنفر من الخبائث والمستقذرات بطبعها. وهذا ما يشير إليه قوله تعالى: ﴿**فألهمها فجورها وتقواها**﴾ [الشمس:8]

وقد جاء الإسلام بتأييد نظام الفطرة الأولى، ذلك النظام الذي يحفظ الذات الإنسانية بجلب اللذات والمنافع والطيبات، ويدفع عنها الآلام والمفاسد والخبائث، فكل إنسان سوي الفطرة مدفوع إلى الجهاد في سبيل تحقيق مصلحته ومنفعته ولذاته رغبة منه في الطيبات، ومدفوع إلى الابتعاد عن المفاسد والشرور رغبة منه في اجتناب الخبائث، فقد جاء الشرع بتأييد ذلك ولكن باعتدال بحيث لا يتجاوز الحد المعقول في الفردية والأنانية، وهو عدم الاكتراث بمصالح الآخرين، ثم أرشدنا إلى حدود المصالح المعتبرة وحدود المضار المحرمة.[3]

ولقد مثل الشاطبي دور الشرع في حال انحراف المكلف عن الفطر إلى جهة دون أخرى فقال: «فإن كان التشريع لأجل انحراف المكلف، أو وجود مظنة انحرافه عن الوسط إلى أحد الطرفين، كان التشريع رادًّا إلى الوسط الأعدل؛ لكن على وجه يميل فيه إلى الجانب الآخر ليحصل الاعتدال فيه، فعلَ الطبيب الرفيق يحمل المريضَ على ما فيه

[1]– القرطبي: **الجامع لأحكام القرآن**، 286/7.

[2]– ابن كثير: **تفسير القرآن العظيم**، دار السلام، الرياض، دار الفيحاء، دمشق، ط، 1، 1414هـ/1994م، 338/2.

[3]– الحجوي: **الفكر السامي في تاريخ الفقه الإسلامي**، 140/1.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

مجلة جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية –قسنطينة الجزائر–
ر ت م د: 1112–4040، ر ت م د إ: 2588–X204
المجلد:33 العدد:03 السنة:2019 الصفحة: 43–74 تاريخ النشر: 17–12–2019

صلاحه بحسب حاله وعادته، وقوة مرضه وضعفه؛ حتى إذا استقلت صحته هيأ له طريقا في التدبير وسطا لائقا به في جميع أحواله».[1]

ومن هنا أباح الشرع الاكتساب ونهى عن الشَّره والجشع والغش والتدليس ونحوهم، وأباح التنعم بالطيبات ونهى عن الإسراف والتقتير، كل ذلك كالمرشد الحقيقي إلى الطريق الموصل إلى ما فيه مصلحة المكلفين.[2]

هـــ– يرتبط نظام الفطرة بفقه الموازنات من كون داعي الفطرة الجازم مغنيا عن الإيجاب الشرعي، فإن الفطر السليمة تقبل الحق وترفض الباطل بطبيعة ما فطرها الله عليه، كما جاء في رسالة المسترشدين«واعلم أن على الحق شاهدا بقبول النفس له»،[3] ألا ترى لقول رسول الله ﷺ:« استفت قلبك وإن أفتاك الـــمُفتون»[4]. وهذا الحديث يدل على أن الله فطر عباده على معرفة الحق والسكون إليه وقبوله، وركز في الطباع محبة

---

[1]– الشاطبي: **الموافقات**، ص/163.

[2]– الحجوي الثعالبي: **الفكر السامي في تاريخ الفقه الإسلامي** بتصرف، 140/1.

[3]– الحارث المحاسبي:**رسالة المسترشدين**، ت عبد الفتاح أبوغدة، دار السلام، القاهرة، ط10، 1421هـــــ/2000م،ص/136.

[4]– رواه البخاري بهذا اللفظ في التاريخ الكبير عن الصحابي الجليل وابصة بن معبد الأسدي، وذكره النووي في الأربعين حديثا تحت رقم: الحديث السابع والعشرون بلفظ «قال: أتيتُ رسول الله فقال: جئت تسأل عن البر؟ قلتُ نعم، قال: استفت قلبك، البرّ ما اطمأنت إليه النفس واطمان إليه القلب، والإثم ما حاك في النفس وتردد في الصدر، وإن أفتاك النا س وأفتوك» قال: الشيخ رحمه الله (النووي) حديث حسن. ينظر: ابن رجب الحنبلي: **جامع العلوم والحكم في شرح خمسين حديثا من جوامع الكلم**، دار ابن حزم لبنان، ط1، 1418هـــ/1997م، ص/306. وذكره السيوطي في الجامع الصغير من أحاديث البشير النذير، ينظر: المناوي: **فيض القدير شرح الجامع الصغير**، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 1415هـــ/1994م، 633/1.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

مجلة جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية –قسنطينة الجزائر–
ر ت م د: 1112–4040، ر ت م د إ: 2588–X204
المجلد:33 العدد:03 السنة:2019 الصفحة: 43–74 تاريخ النشر: 17–12–2019

ذلك والنفور من ضده، ولهذا سمى سبحانه ما أمر به (معروفا) وما نهى عنه (منكرا)، وأخبر أن قلوب المؤمنين تطمئن بذكره. فدل حديث وابصة على الرجوع إلى القلب عند الاشتباه، فما سكن إليه القلب وانشرح إليه الصدر فهو البر والحلال، وما كان خلاف ذلك فهو الإثم والحرام[1].

فداعي الفطرة يمثل الضمير الحي في الإنسان وكما جاء في القاعدة الفقهية «الوازع الطبيعي مغن عن الإيجاب الشرعي» أو «داعية طبع تجزئ عن تكليف الشرع»

ثالثا: تطبيقات الأوصاف الفطرية وفقه الموازنات

يبدو الجانب العملي لهذا الارتباط بالفطرة في الترجيح بين مقتضياتها إذا لم يمكن الجمع بينها في أثناء العمل، ويكون الترجيح بمدى القرب أو البعد من الفطرة السليمة، فإذا تعارض فعلان مما تقتضيه الفطرة وجب اختيار أعرقهما في المعنى الفطري أو أدومهما مما تطمئن إليه النفوس السوية، أو أشيعهما في الناس، أو أليقهما بالإشاعة في اجتماع البشر. فإذا ظهر القرب من هذا المعنى وجب الرجوع إليه، وإذا ظهر البعد عن الفطر السليمة وجب الابتعاد عنه.

1– الموازنة بين التيسير والتعسير، فالتيسير والرفق بالناس من الأوصاف الفطرية التي تميل إليها النفوس، وتنفر من ضدها؛ لأن من طبيعة النفوس اتباع من يرفق بها والنفور عن من يغلظ عليها[2]، وهو ما أشار إليه النص القرآني في قوله تعالى: ﴿**ولو كنت فظاً غليظ القلب لا نفضُّوا من حولك**﴾ [آل عمران:159] ومن هنا حث

[1]– ابن رجب الحنبلي: **جامع العلوم والحكم في شرح خمسين حديثا من جوامع الكلم**، المرجع نفسه ص/309–310

[2]– عبد المجيد السوسوة: **فقه الموازنات في الشريعة الإسلامية**، ص/145.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

مجلة جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية –قسنطينة الجزائر–
ر ت م د: 1112–4040، ر ت م د إ: 2588–X204
المجلد:33 العدد:03 السنة:2019 الصفحة: 43–74 تاريخ النشر: 17–12–2019

الرسول ﷺ على التيسير ونهى عن التعسير، ومن ذلك قوله فيما رواه أنس: «يسروا ولا تُعسِّروا وبشروا ولا تنفروا »[1].

فالتيسير والرفق بالناس من أعظم المداخل لكسب ودِّ الناس وتوسيع دائرة الالتزام بالإسلام. وهو ما تطمئن إليه النفوس السوية، وهذا هو منهج الرسول ﷺ حيث حرص على التيسير والرفق بالناس والتسامح معهم واستطاع بذلك أن يكسب ود الجميع، ويوصل الإسلام إلى قلوب من كان يحقد عليه ويعادي دعوته. وكان ﷺ يقول: «إن الرفق لا يكون في شيء إلا زانهُ ولا يُترع من شيء إلا شانَهُ»[2]. ويقول ﷺ: «من يُحرمِ الرِّفق يُحرم الخير».[3]

2- الموازنة بين قاعدة الكِبْر والتجمُّل بالملابس والمراكب وغير ذلك: الكبر على عباد الله وشرائعه حرامٌ وكبيرةٌ من كبائر الإثم جاء في الحديث أن النبي ﷺ قال:«لا يدخلَ الجنةَ من كان في قلبه مثقالُ ذَرَّة من كبر»، قال: رجلٌ إن الرجُلَ يُحبُّ أن يكون ثوبُه حسناً ونعلُهُ حسنةً. قال ﷺ : «إنَّ الله جميلٌ يحبُّ الجمال، الكبرُ بطرُ الحق وغَمطُ الناس».[4] قال العلماء: بطرُ الحق هو دفعه وإنكاره ترفعا وتجبرا وغمطُ الناس

[1]- أخرجه البخاري في كتاب العلم، باب: ما كان النبي صلى الله عليه وسلم يتخولهم بالموعظة والعلم كي لا ينفروا، ينظر: ابن حجر: فتح الباري بشرح صحيح البخاري، 1/ 196.

[2]- أخرجه مسلم في كتاب البر والصلة والآداب، باب: فضل الرفق، ينظر **النووي: صحيح مسلم بشرح النووي**، 8/146-147.

[3]- أخرجه مسلم في كتاب البر والصلة والآداب، باب: فضل الرفق، ينظر **النووي: صحيح مسلم بشرح النووي**، 8/145.

[4]- أخرجه مسلم في كتاب الإيمان، باب: تحريم الكبر وبيانه، ينظر: **النووي: صحيح مسلم بشرح النووي**، 1/89.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

مجلة جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية –قسنطينة الجزائر–
ر ت م د: 1112–4040، ر ت م د إ: 2588–X204
المجلد:33 العدد:03 السنة:2019 الصفحة: 43–74 تاريخ النشر: 17–12–2019

احتقارُهم.[1] والكبر من أعظم ذنوب القلب، حتى قال بعض العلماء: كلُّ ذنوب القلب يكونُ معه الفتحُ إلا الكبر.[2] وهذا مصداقا لقوله تعالى: ﴿**سأصرف عن آياتي الذين يتكبَّرُون في الأرض بغير حق وإن يروا كلَّ آية لا يؤمنون بها وإن يروا سبيل الرُّشد لا يتخذُوهُ سبيلا وإن يروا سبيل الغيِّ يتخذُوهُ سبيلا ذلك بأنهم كذبوا بأياتنا وكانوا عنها غافلين**﴾[الأعراف:146] وهو خروج عن الفطرة وانحراف عن الطبع السوي وقد سماه النبي جاهلية كما في الحديث: « لَيَنتَهِيَنَّ أقوامٌ يفتخرون بآبائهم الذين ماتُوا إنما هم فحمُ جهنم، أو ليَكونُن أهونَ على الله من الجُعل الذي يُدَهدِهُ بأنفه، إن الله قد أذهب الله عنكم عُبِّيَّةَ الجاهلية، إنما هو مؤمنٌ تقِيٌّ، وفاجر شقيٌّ، والناس كُلُّهم بَنُو آدم وآدم خُلق من تراب».[3]

وأما التجمُّلُ مع التواضع فقد يكون واجباً في ولاة الأمور وغيرهم إذ توقَّفَ عليه تنفيذ الواجب فإن الهيئة الزَّرِيَّةَ–ما يُعاب عليه ويستخف به– لا تحصل معها مصالح العامة من ولاة الأمور.[4]

وقد يكون مندوبا إليها في الصلوات والجماعات وفي الحروب لرهبة العدو، والمرأة لزوجها، والعلماء لتعظيم العلم في نفوس الناس، وقد يكون حراماً إذا كان وسيلةً لمُحرم كمن يتزين للنساء الأجنبيات ليزني بهن، وقد يكون مباحاً إذا عري عن هذه

[1]– ينظر: **النووي**: **صحيح مسلم بشرح النووي**، 90/1.

[2]– القرافي: **الفروق**، الرسالة العالمية، دمشق، ط2، 1432هـ/2011م،334/4.

[1]– أخرجه الترمذي، في كتاب المناقب، باب: في فضل الشأم واليمن، ينظر: ابن العربي، **عارضة الأحوذي بشرح صحيح الترمذي**، 235/7–236.

[4]– القرافي: **الفروق**، المرجع السابق، 334/4.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

مجلة جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية –قسنطينة الجزائر–
ر ت م د: 1112–4040، ر ت م د إ: 2588–X204
المجلد:33 العدد:03 السنة:2019 الصفحة: 43–74 تاريخ النشر: 17–12–2019

الأسباب.[1] ومن هنا انقسم التجمُّلُ إلى الأحكام الخمسة، ويمكن الموازنة بينهما أن الكبر من أعمال القلوب، والتجمُّل من أفعال الجوارح يتعلق به الحُسن دون الكبر.[2]

3- الموازنة في العمل بمبدأ التدرج في دعوة الناس وإرجاعهم إلى الالتزام بالإسلام، والرقي بالمجتمع شيئاً فشيئاً ليقتلع الفساد الاجتماعي المتجذر في النفوس، فإن الفطر السليمة تستجيب لذلك أفضل من الدعوة إليه دفعة واحدة، وهذا هو منهج القرآن في التدرج بالمجتمع الأول فقد كان يترل منجما حسب الوقائع والأحداث ولذا قالت عائشة رضي الله عنها: «إنما نزل أول ما نزل منه-تعني القرآن-سور من المفصل فيها ذكر الجنة والنار، حتى إذا تاب الناس إلى الإسلام نزل الحلال والحرام، ولو نزل أول شيء لا تشربوا الخمر لقالوا: لا ندع الخمر أبداً، ولو نزل لا تزنوا لقالوا لا ندع الزنا أبدا».[3] فكيف يعقل للنفوس التي أَلِفَت شيئا واعتادته أن تستجيب لتركه دفعة واحدة، و لم تَجِد سنة الرسول ﷺ عن هذا المنهج في التدرج كما جاء في حديث معاذ بن جبل حين بعثه إلى اليمن.

وإذا كان التدرج في التشريع علاجا تربويا حكيما للفطرة قد انتهى أمره بعد اكتمال الشريعة واستقرارها فإن التدرج في الدعوة والتربية لم ينته؛ إذ إن الحكمة التي اقتضت التدرج أول مرةٍ يمكن أن تظهر مرةً أخرى عندما تظهر دواعيها ومقتضياتها.[4]

---

[1]- القرافي: **الفروق**، المرجع السابق،4 /334.

[2]- القرافي: **الفروق**، المرجع السابق، 335/4.

[3]- أخرجه البخاري، في كتاب: فضائل القرآن، باب: تأليف القرآن، ينظر: ابن حجر، **فتح الباري**، 655/8.

[4]- محمد الوكيلي:**فقه الأولويات دراسة في الضوابط**، المعهد العالمي للفكر الإسلامي، فيرجينيا، ط1، 1416هـ/1997م، ص/63.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

مجلة جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية –قسنطينة الجزائر–
ر ت م د: 1112–4040، ر ت م د إ: 2588–X204
المجلد:33 العدد:03 السنة:2019 الصفحة: 43–74 تاريخ النشر: 17–12–2019

أهم نتائج البحث:

– نظام الفطرة هو النظام الذي أوجده الله في كل مخلوق، ففطرة الإنسان هي الخِلقة والجبلة والطبيعة التي أودعها الله فيه.

– نظام الفطرة يرتبط بفقه الموازنات من عدة نواح من حيث وصف الدين بها، ومن حيث هداية القرآن إليها، ومن خلال فقه الاختيار الذي أرشد إليه ﷺ، ومن خلال تحليل الطيبات وتحريم الخبائث الذي دل عليه القرآن، وكما ترتبط الفطرة بالموازنات من خلال داعي الفطرة، فإن الفطر السليمة تقبل الحق وترفض الباطل بطبيعة ما فطرها الله عليه.

– يظهر جليا في التطبيقات العملية هذا الارتباط بالفطرة في الترجيح بين مقتضياتها إذا لم يمكن الجمع بينها في أثناء العمل، ويكون الترجيح بمدى القرب أو البعد من الفطرة السليمة، فإذا تعارض فعلان مما تقتضيه الفطرة وجب اختيار أعرقهما في المعنى الفطري أو أدومهما مما تطمئن إليه النفوس السوية، أو أشيعهما في الناس، أو أليقهما بالإشاعة في اجتماع البشر. فإذا ظهر القرب من هذا المعنى وجب الرجوع إليه، وإذا ظهر البعد عن الفطر السليمة وجب الابتعاد عنه.

أهم المصادر والمراجع:

1– محمد الوكيلي: **فقه الأولويات دراسة في الضوابط**، المعهد العالمي للفكر الإسلامي، فيرجينيا، ط1، 1416هـ/1997م.

2–ابن رجب الحنيلي: **جامع العلوم والحكم في شرح خمسين حديثا من جوامع الكلم**، دار ابن حزم، بيروت، ط1، 1418هـ/1997م.

3– ابن كثير: **تفسير القرآن العظيم**، دار السلام، الرياض، دار الفيحاء، دمشق، ط1، 1414هـ/1994م.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

مجلة جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية –قسنطينة الجزائر–
ر ت م د: 1112–4040، ر ت م د إ: 2588–X204
المجلد: 33 العدد: 03 السنة: 2019 الصفحة: 43–74 تاريخ النشر: 17–12–2019

4- المناوي: **فيض القدير شرح الجامع الصغير**، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 1415هـ/1994م.

5- الفيروز آبادي: **القاموس المحيط**، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 1415هـ/1995م.

6- الشاطبي: **الموافقات**.

7- جماعة من كبار اللغويين: **المعجم العربي الأساسي**، مؤسسة لاروس، المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم، 1989م.

8- سعدون محمود الساموك: **الوجيز في النظم الإسلامية**، ط1، 1422هـ/2002م.

9- القرطبي: **الجامع لأحكام القرآن**، دار الحديث، القاهرة، ط2، 1416هـ/1996م.

10- الكفوي: **الكليات، معجم في المصطلحات والفروق اللغوية**، مؤسسة الرسالة ناشرون، دمشق، ط2، 1432هـ/2011م.

11- الأصفهاني: **معجم مفردات ألفاظ القرآن**، ت،يوسف الشيخ محمد البقاعي، دار الفكر، بيروت، ط1، 1426هـ/ 2009م.

12- ابن حجر العسقلاني: **فتح الباري بشرح صحيح البخاري**، دار الريان للتراث، القاهرة، ط1، 1407هـ/1986م.

13- النووي: **صحيح مسلم بشرح النووي**، دار الكتاب العربي، بيروت، 1407هـ/1987م.

14- الإمام مالك، **المـُوطأ**، دار الكتاب المصري، القاهرة، دار الكتاب اللبناني، بيروت.

15- ابن العربي: **عارضة الأحوذي بشرح صحيح الترمذي**، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 1418هـ/1997م.

16- الزمخشري: **أساس البلاغة**، دار صادر، بيروت، ط1، 1412هـ/ 1992م.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

مجلة جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية –قسنطينة الجزائر–
ر ت م د: 1112–4040، ر ت م د إ: 2588–X204
المجلد: 33 العدد: 03 السنة: 2019 الصفحة: 43–74 تاريخ النشر: 17–12–2019

17– ابن عاشور: **مقاصد الشريعة الإسلامية**، تحقيق: محمد الطاهر الميساوي، دار النفائس، الأردن، ط2، 1421هـ/2001م.

18– عبد السلام الرفعي: **فقه المقاصد وأثره في الفكر النوازلي**، أفريقيا الشرق، المغرب، ط1، 2010م.

19– صابر طعيمة: **العقيدة والفطرة في الإسلام**، دار الجيل، بيروت، ط1، 1398هـ/1978م.

20– ابن القيم: **مفتاح دار السعادة، ومنشور ولاية العلم والإرادة**، دار الجيل، بيروت، ط1، 1414هـ/1994م.

21– علال الفاسي : **مقاصد الشريعة ومكارمها**، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط5، 1993م.

22– عبد الرحمن العضراوي: **مدخل تأسيسي في الفكر المقاصدي**، مركز نماء للبحوث والدراسات، بيروت، ط1، 2015م.

23– الأصفهاني: **كتاب الذريعة إلى مكارم الشريعة**، تحقيق: أبو اليزيد العجمي، دار السلام، القاهرة، ط1، 1428هـ/2007م.

24– الجوهري: **الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية** مرتبا ترتيبا ألفبائيا وفق أوائل الحروف، دار الحديث، القاهرة، سنة الطبع، 1430هـ/2009م.

25– ابن منظور: **لسان العرب**، دار لبنان العرب، بيروت.

26– أنيس إبراهيم وآخرون: **المعجم الوسيط**، مطابع المعارف، مصر، 1393هـ

27– خضير طه عبد السلام: **دراسات في الأخلاق**، دار النهضة العربية، 1405هـ.

28– عبد المجيد محمد السوسوة: **فقه الموازنات في الشريعة الإسلامية**، دار القلم، الإمارات العربية المتحدة،دبي، ط1، 1425هـ/2004م.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

مجلة جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية –قسنطينة الجزائر–
ر ت م د: 1112–4040، ر ت م د إ: 2588–X204
المجلد:33 العدد:03 السنة:2019 الصفحة: 43–74 تاريخ النشر: 17–12–2019

29– بلقاسم حديد: **موارد التكليف ومصادره فيما يقتضيه الشرع وما لا يقتضيه**، دار الكلم الطيب، دمشق، ط1، 1430هـ/2009م.

30– فتحي يكن: **تحديات من القرن الحادي والعشرين في ضوء فقه الفطرة**، مؤسسة الرسالة، بيروت، لبنان، ط1، 1418هـ/1998م.

31– سيد قطب: **في ظلال القرآن**، دار الشروق، القاهرة، ط32، 1423هـ/2003م.

32– ابن عاشور: **أصول النظام الاجتماعي في الإسلام**، الشركة التونسية للتوزيع، تونس، الشركة الوطنية للكتاب، الجزائر، ط2، 1985.

33– ابن القيم:**زاد المعاد في هدي خير العباد**، ت:شعيب الأرنؤُوط، وعبد القادر الأرنؤُوط، مؤسسة الرسالة، بيروت، مكتبة المنارة الإسلامية، الكويت، ط14، 1407هـ/1986م.

34- الحجوي الثعالبي: **الفكر السامي في تاريخ الفقه الإسلامي**، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 1416هـ/1995م.

35– محمد أبو زيد: **هدي الرسول ﷺ مختصر من زاد المعاد**، مطبعة الاستقامة، القاهرة، ط5، دون ت.

36– – الحارث المحاسبي: **رسالة المسترشدين**، ت عبد الفتاح أبوغدة، دار السلام، القاهرة، ط10، 1421هـ/2000م.

37– المناوي: **فيض القدير شرح الجامع الصغير**، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 1415هـ/1994م.

38– القرافي: **الفروق**، الرسالة العالمية، دمشق، ط2، 1432هـ/2011م.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com